
صَولةُ
الأَصالة
محمد أحمد الراشد

مشروع التعريف بالقضية العراقية من منظور إسلامي

يُقدم رسالة

صَولةُ الأصالة







صدرت في
ذي القعدة سنة ١٤٣٠ هـ
نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٩ م



الطبعة الأولى



يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي   أنّا بغير محمدٍ لا نقتدي

□□ وَيحه من مُحرّك حياةٍ ومُسعِـر جهادٍ : هذا الشـاعر الفلسطيـني الصـاعـد " **عمار حرب** " حين أمسك بالحائر الفاتر فهزّه ونـَفَضه وقال له :

★ أنتَ جرحٌ عاشَ حُرّاً ... فمتى تجتاز خوفك ؟ ★

● فنقطة الانطلاق في هذه الجزيئة من الوعي ، ومحور التفقيه فيها : أن بداية السياسة ، والجهاد ، والمسيرة ، والاستدراك : فردٌ خام ضَغطه الإرهاق وجَـثم عليه الإرهاب وناله الظلم ، فتعب ، حتى صارت كل كتلته " جُرحاً " ، فاستولت عليه دهشة الخوف من فصلٍ ثانٍ في قصة حياته .

هنا يتدخل الشاعر فيبدأ بتذكيره أنه وقبل كل شيء : " حُرٌّ " يسيح كيف شاء ويفعل ما يريد ، تحت جناح الأصالة وما تفترضه براءة الذات من قبل أن تمتد يد العدوان إليه ، وظاهرة الخوف شيء طارئ دخيل يصح التمرد عليه والتحدي له وتجاهله ومعاكسته ، فيكون اجتياز الحاجز المانع ، وتلك أول خطوة في حمل المسؤولية واكتشاف طريق الإصلاح .

★ عُد سريعاً .. من ظلامٍ .. كان يُخفي عنك دربك ★

فالدهشة تصرّف فطري ، وهي انبهارٌ يسيطر عليه تعجّب ، ولكنها إن طالت ادلهمت وتحولت إلى ظلامٍ حاجبٍ فيه ذهول ، فيقف ويتسمّر الذي تفترض الحرية أنه يسير بعزم .

الدهشة الأولى : عفوٌ وحلال .. ولكنّ الثانية : عيب .. !

وليس في ذلك إحراج ، فإنـها ليست من الحتم المقضي الذي لا يتفلت منه أحد ، بل كل أحدٍ له نفس قد غرس الله فيها وازع التملص من الحصار ، وطلب الحرية ، والرنو إلى أعلى ، وبإمكانه أن يستعمل ويدير خصائص نفسه فيقرر العودة السريعة من المنطقة الداكنة إلى رحابة البصيرة .

لكنّ هذه العودة لا تكون سِرّاً ، بل هي جَهرٌ ونداءٌ وإعلانٌ يتقصد البِشارة والنِذارة ، ولذلك لا يؤثر إصلاحٌ يختار أن يكون مخنوقاً أو تذهب الحشرجة بفحواه ...

★ ما الذي تخشاه ؟ أخبرني ؟ وما يخنق صوتَك ؟ ★

ليس من شيء حقيقي ، إنما هي أوهام الدهشة .. ! ومن هنا تنقلب من خلال اليقظة إلى وعي ، فكأن الحائر المظلوم الذي يستيقظ يكون أقوى وأنبه وأجلد ممن يولد في رحاب العدل ، بسبب المعاناة التي ربته ، فهو كالذي أسلم من بعد جاهلية : يكون أخبر بانحرافاتها ونمطها الأعوج .

● ثم توكيداً من الشاعر لأهمية تحديده نقطة البدء : يستأنف النداء ، ويقيم من طبائع النفس الزكية حُجج منطقه العقلاني .

★ عَمّاه .. إن طال الجحود : أما ترى أنّا نَمَلّ .. ونَنصُر الإنسانا ؟ ★

وناداه بالعمومة لأنه ما زال شاباً عادته احترام الأكبر ..

وفحوى منطقه : أن الجثمة طالت ، وطبيعة النفس التغيير والتحرّك ، والحياة كلها نبض ، فيَليق الرفض ، وقَطع الاستطراد ، فإن من شأن السوي في طبيعته الإنسانية : أن يَمل المظلومية ، ويتبرم ، وينصر أخاه الإنسان المنكوب ، لا كالذي ينحرف طبعه ويعوج ، فإنه يرقد فيركد ، أما المسلم فإنه يحمل هموم الإنسانية كلها .

ونمط المحيط يقتضي هذه اليقظة الحاذرة التي تـنـتفض ، فإن فيه لغة وحوش ، وأصداء افتراسٍ استوعب "**عمار حرب**" جرسها فراح يُسجلها ...

★ وما الليل في البِيد إلا عُواءٌ يشق الأعالي ، وأصواتُ نَهْشِ ★

وصار ديدنه كيفية التملّص والتخلّص ، ليتوضأ ويزيل غبار الزحام ، ويمضي في خطة الإصلاح .

★ فهل سوف أحيا ، وأغسل وجهي ، ليومٍ جديد ، وأُصلحُ عيشي ؟ ★

وهذه الصفحة الجديـدة ، البريـئة من خيانات الأشرار : هي التي عليها

التعويل ، وفيها يكمن الأمل ، والمجتمعات الإسلامية اليوم بلا قيادة ، وأجهزة المخابرات قد أجفلت الناس جميعاً ، وحصرتهم في مضايق العيش ، وأرتهم نماذج مما عندها ، فمالوا إلى الستر والانـكفاء والرهبة من تحمّل مسؤولية الأمر بالمعروف ، والنمط الدعوي فقط هو المرشح لبعث الجُرأة في النفوس والصدع بالتكبير والنداء لصلاةٍ جامعة ، وحمل الأذى صار عند الدعاة سهلاً ، لتواليه واستمراره واعتيادهم على الصبر ، ولما في ثناياه من ولادة تأيـيدٍ من الناس يكون فيه بعض التـأنـيس لهم ، مع شعور بأنهم يجنون من ذلك ثمرة إيجابية تجعل صفة " **الإمامة** " متحققة فيهم ، وذلك هو مبتغاهم ، وتزداد هذه الإمامة عمقاً وبتناسب طردي مع استمرار الأذى ، حتى تصل إلى درجة التمكن من تحريك قلوب الناس وتبديل الخوف إلى شجاعة ، والانسحابية إلى إقدامٍ وطموح ، فتكون صولة الأرواح ، فيحصل التغيير ، وتلك هي الطريقة ...

❑ أبدية حقائق حركة الحياة التي تتحكّم في مسار التغيير

❑ وتبدأ المسيرة .. تتجلى فيها كل أنواع الصور الجزئية لحركة الحياة ...

★ أيّ أعوامٍ .. ومشي .. بين حُزنٍ .. وسرورِ ★

رآها عمار ، مع أنه شاب ...

مرة ترهق السائرين محنة ، وفقر ، وتكذيب ..

ومرة تبتسم لهم منحة ، في شكل إنجاز ، وتفويض لهم من الناس ، والتفاف حولهم ، أو في صورة ترويج فكرة ، وجمع متـناثر ، ورسم خطة ، وافتراض نظرية ، ورَفَلٍ في عواطف معرفية ، وإطلالات فلسفية ، وترتيب أنساقٍ منطقية .. في مزاحمة ..

هذه تدفع هذه .. ثم تكون لها الكَرّة عليها ..

في تبادل تريده حكمة الله تعالى ، ليكون النضوج من خلال تداول الأيام وتـَصارُع الجولات ، فتكون المعاناة المربية ...

" **وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ** " في الميادين ، ولا تفاصحوا على المنابر ، ولا تراشقوا الاتهامات في وسائل الإعلام .. ولا تكاثروا ..

" **وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد** " لتتحرك الحياة ، وتكون الملاحم والمصادمات ، فيكون تجميع القوى والأموال والعلوم والفنون من أجلها ..

وهذا يبذل .. وهذا يزيد .. ثم هو اللهُ يختار ..

★ ينتهي الخطو سريعاً ... في غيابٍ كالحضور .. ! ★

فأعمار محاولات تكوين الدول : طويلة قصيرة ، لأن معادنها الأجيال لا الأفراد ، ومراميها بعيدة ..

والاعتكاف الإعدادي التربوي فيه صمتٌ واحتجاب ، ونمو البذور يحتاج وقتاً قبل الإزهار ، وتجميع الآلة يستلزم نحتاً لحديدٍ بهندسة وتدقيق شديد ، فيستطرد الانتظار ، فيظن الواهم أنه غياب ، ولو اتبع الفِطنة لقاس على الأزيز وجود المِرجل ..

وكما تحدث النبي ﷺ عن أقوامٍ ما سلكَ وادياً إلا كانوا معه وهم بالمدينة ، حبسهم العذر : فإنّ خلف جدار السكون من الإخوان مَن ما سَلك خيال المتمني وادياً إلا كانوا معه ، حبسهم الوعي عن التهور واستعجال قطف الثمرة ، وجعلت الخطط نقلاتهم بطيئة ، واختارت الرؤى الاستراتيجية لهم الأنفاسَ الطويلة ، فهم في حضورٍ مؤكد ، مع أنه يتقمص شكل الغياب ، والإيجابيات النفسية الطامحة الواثقة الراجية التي تنمو خلال كل ذلك هي أرسخ دلائل الحضور المستقبلي الفاعل الإنتاجي المؤثر .

★ جاهداً أجتازُ قلبي ... ومتاريس عُبوري★

فحركة الحياة حركات نفوس قبل أن تكون ترجيحات الماديات ، ومواقف القلوب هي الأصل المعتمد الذي عليه التعويل ، لذلك يدأب الداعية في محاولة اجتياز وسوسةٍ تـُغري باسترخاء ، أو إنصاتٍ لهمسةِ زوجةٍ تحلم برخاء ، أو تحريش حسد ، أو غرور ينتهي إلى استكبار ، ويظل الداعية يُلح في هذا إلحاحاً

حتى يعبـر الأسوار والعوائق والاستحكامات التي شيدتها النفس في حالة طغواها ، لينشر شراع سفينة تحمله في بحر الحياة العُباب ، بَـنَـتَها النفسُ في حالة تقواها ، فيكون الانسياب إلى المرفأ وأرض الأمان ...

★ باحثاً عن خط سيري ... في دهاليز العصور ★

فالضمانة : الاعتبار بتجارب المؤمنين السابقين ، من بطلٍ فاتح ، وفقيهٍ مجتهد ، وزاهدٍ متفكّر ، وتاجر متبرع ، وسياسي مُناور ، ومعرفي يقارن ، وشاعرٍ يترنم ، ومعماري يربي الناس بجمال الصروح ، فهو يبحث عنهم في أروقة التاريخ ، ويستهدي بحكمتهم وموازينهم العقلانية وذبذباتهم العاطفية ، ثم الله من بعد ذلك وقبله هو الضامن .

● ويكون التوغل في المسيرة ، أو بلوغ الأقاصي : مع نشر الأشرعة ، وهناك يكون اكتشاف المفاجأة .. وما هي بمفاجأة عند مَن يدرس علم الإيمان وفقه الشرع ويتجول في الرحاب المعرفية ..

أن إدارة حركة الحياة أصعب مما يتصورها الأكثرون ..

إذ هناك في الساحة ....

★ ألف شكلٍ .. ألف لونٍ .. أيها يفهمُ لحني ؟ ★

★ ولكلٍ دندناتٌ ... ورؤى مختلفاتُ ★

★ أينَ ما أبحثُ عنه ؟ أين وَجهٌ ؟ أين كُنْهُ ؟ ★

حَيرة استولت على " عمار حرب " ، بل هي صدمة ... !

ما كان يظن أن أخلاق الناس وطباعهم بهذه الدرجة من التعقيد والتعدّد والتغاير ، وأنه أمام ألف نفسٍ بين تعاليها في طريق السمو وتدحرجها في دركات العيوب ألف درجة ....

حشدٌ من الصفات عجيب في ساحةٍ واحدة ..

شجـاعٌ وجـبـان .. وألمعيٌ وكثيف .. وطامع ومتجرد ..

صــافٍ ومخــلّط .. وكريـمٌ وبخيل .. ومخلص وخائن ..

منهجي وفوضوي .. وثـائرٌ وخائر .. ومُبــادر وتـابع ..

● مزيجٌ من كل لون ، ولوحةٌ واسعة فيها زوايا داكنة ، ولكن فيها مساحات مشرقة .. وفِطرةُ عمار بعد دهْشتِه .. ثم فطرة كل مؤمن سوي : تقود حتماً إلى انتظار الخير من الطيبين ، أصحاب الإيجابيات ، ففيهم ممن يفهم الألحان الدعوية أرهاط كثيرة ..

إنما المشكلة تبقى ، وسبب الإشكال : سَعة المساحة ، ومليونية العَدد ، مع صعوبة الربط ، ومحدودية الطاقة ، ورجحان حجم أهلِ السلبيات ، وقلة المبادرين ، وهذه ظواهر في الحياة الاجتماعية دائمة ، وهكذا خلَق اللهُ عبادَه ..

❑ النجاح رهنٌ بولاءٍ

يُساند عُصبةَ شباب مؤمنٍ تلتزم شروطَ التوثيق

❑ الحل أكبر من عمار ، وجيل عمار وأقرانه ..

الحل هو عند المخضرمين من الدعاة الذين تعمقت تجاربهم وهذبتهم الأيام وعرَكتهم المحاولات وأدّبتهم المواعظ العملية ومواجهة الحقائق بعقلانية تستـنبط الفحوى وتشتق الخطط ..

● وأول ذلك : التزام قاعدة " الشروط " ..

وجامعها : تفضيل أخلاقٍ حميدة على أخرى حميدة أيضاً ، والعزائم على الرُخص ، والحرص على الانتقاء ، فالشجاعة درجات ، ومثلها الذكاء والصبر والطموح والانفعال ، كل ذلك درجات ، والتعامل المباشر إنما يكون مع أهل الدرجات العالية ، وهم القِلّة ، والنازلون نتعامل معهم بطريق غير مباشر ، وهم الكثرة ، عبر النشر الفكري والإعلام وإظهار القدوات ، وقاعدة تفاضل الشروط هذه تحوم حول الفطرة ، ولذلك قاربها عمار فقال :

★ أينَ ذو القلب الوفي ... والوفاء الأبدي ؟ ★

فهو يريد الوفاء والاستعداد للمسيرة الطويلة ، وليس لعملٍ عاصفٍ موسمي

موقت ، فالفطرة تعرف هذه العنوان العريض ، والتجربة التربوية تملؤه تفصيلاً وشرحاً وتأصيلاً .

● وثاني الحلول : في أن تربط هؤلاء الأكثرية برابط " **الولاء** " للدعوة ، من دون إرهاق أنفسنا وأنفسهم باشتراط " **الطاعة** " و " **البيعة** " والالتزامات الثقيلة الدائمة ، إذ أننا لا نحتاج ذلك أصلاً إلا في الحدود التي يتم بها تنظيم يقود كتلة الموالين الواسعة ، ويتكون الولاء من مساندةٍ وانحياز عام للدعوة ، وارتياد المصالح لها ، وإبعاد الأضرار عنها ، والتصويت لها عند الانتخابات ، والتبرع لها بالمال عند الحاجة ، وإضمار الإخلاص للدعاة ، والدعاء لهم بالتوفيق ، وذِكرهم بخير ، وحُسن الظن بهم ، والتأول لما يغمض من أفعالهم .

إن مراقبة حركة الحياة تـُبدي أن عمليات التغيير السياسي والمساندة الجهادية لا تحتاج أكثر من هذا الولاء ، وهو يكفي ، وهذا التقدير الخططي إنما هو من الوعي المستجد للدعاة ، وهو الأصوب ، بعد دهرٍ كانوا يتوهمون فيه ضرورة الطاعة ، وهو اكتشاف مهم جداً طرأ فأراح وقذف فينا طمأنينة من بعد حساباتٍ خاطئة ، لأن الحياة المعقدة الحالية ، بل وحتى القديمة : يصعب فيها تجميع وتحصيل طاعةٍ من مجموعة واسعة تكفي لإحداث الضغوط والتغييرات ، فكانت حالةٌ فيها شِـبه يأس تسود بين الدعاة ، ولكن أمر الولاء أسهل في التصور وفي العمل ، ويمكن أن تتم به النقلات إذا ساندته تثقيفات فكرية وأنماط إعلامية متقدمة ومواقف قيادية واضحة وصلبة وإبداعية ، وكما أننا نعظ أنفسنا بهذا الوعي الجديد : فإننا نعظ به الناس ، ولا نجد عيباً في المكاشفة والصراحة ، ونريدهم أن يعلموا أن مفاد ذلك : التسهيل عليهم ورفع الحرج عنهم ، فنحن نـكتفي منهم أن يقدموا الولاء لنا في مواسم الحسم والأزمات والأحداث الجسيمة ، وهذا ممكن في التصور وميسور عملياً لأي مسلم يبتغي رضوان الله ، لأن الدعاة هم أنصار الدين ، وحبُّهم واجبٌ قياساً على (**حب الأنصار من الإيمان**) كما قال النبي ﷺ ، والتصويت والتصرف السياسي والجهادي من قِبل

كل مسلم هو " **شهادة** " في نظر الشرع يلزمها إخلاصٌ وعدل ، والناس كلهم مخاطبون في القرآن أن يؤدوها بأمانة ، و " **ستُـكْتبُ شَهَادَتهُمْ وَيُسْألون** " ، تكتبها الملائكة ، ويَـسألهم الله تعالى : إن كانوا شهدوا لعلماني وفاسق ومبتدع ومصلحي ، أو لإسلامي وصالح ومتجرد ، وطلب " **الطاعة** " هو شأن أضيق ، وتراد لبناء التنظيم الذي يقود ، وأهلها هم الذين يختارون الشدائد والعمل المضاعف المتواصل ، ويرشحون أنفسهم للعزائم وأثقال الصدع الدائم بالحق ، وقد عشقوا الجنة ، وبايعوا بيعة رضا وقناعة ، طلباً لمزيد الأجر الأخروي ، وكل أحدٍ مُيسر لما خُلقَ له ، ويوجهه قَدر الله المكتوب عليه ، ولكل مهمة رجال ، وليس أجر المؤازرة والولاء بقليل إذا خلصت النوايا ، ويضم الجميع إطارُ إخاء .

● والحل الثالث : يتضمنه درسٌ استقام به مفهوم جديد لحقيقة قديمة ، وذلك أن الدعاة لبثوا يعتقدون صعوبة الإصلاح والتغيير بسبب كثرة العناصر السيئة في المجتمع ، من مُرابٍ وظالم للناس وسفيه وشارب خمر ومحتكر وجشع وغشاش ومبتدع وانتهازي وكذاب ، وكانوا يظنون وجوب إصلاح كل هؤلاء ليحصل التغيير الاجتماعي الذي يأذن بتغيير سياسي في الأخير ، وإصلاح جميع هؤلاء في درجة المستحيل ، وإنما نسدّد ونقارب ونصلح بعضهم ويبقى السواد الأعظم يقترف المعاصي ويتمسك بأخلاق السوء ويستعصي على الوعظ والتربية ويظل سادراً في الطغيان والانحراف ، فكان ذلك يسبب أرقاً للدعاة ونوعاً آخر من اليأس ، حتى وفقنا الله لاكتشاف أن قوم موسى طلبوا الذي هو أدنى وتركوا ما هو خير ، وجبنوا عند الحرب ، وكانوا قد عبدوا العِجل بعد مِنّة الله عليهم بالنجاة من فرعون ، ومع ذلك لم يقعد موسى عن مهمته في تمكين بني إسرائيل ، لأنه عاف الجبناء والفساق ووجد في ذريتهم من الشباب الاستعداد لحمل الأمانة والمهمة وأداء القتال ، ومنهم السبعون المذكورون في الآية الكريمة " **وَاختارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعينَ رَجُلاً لِّميقَاتِنا** " والمشار لهم أيضاً في آية " **فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ** " ، وفيهم رجالٌ " **أنعم الله** " عليهم ، منهم الاثنان المشيران بدخول الباب

على القوم الجبارين ، وفقه هذه القصة يمنح الدعاة رفقاً بأنفسهم وثقة ، ويجعلهم يكتفون في خُطتهم بقيادة هذه الثلة الشبابية الحاضرة مهما سَدَرَ آباؤهم وأعمامٌ لهم وأخوال في الفسوق والعصيان والتخلّف عن ركب الجهاد ، وهذا فهمٌ حَدث بعد زمن أوهام لزوم ما لا يلزم من انتظار إصلاح السادرين ، وهيهات ، فسهلت مهمة التغيير في التصور والتخطيط ، وهذا من أعظم ما امتن الله به عليّ من إحياء فقه الدعوة ، ويحسبه غير المجرب من المفاهيم العادية ، وهو في الحقيقة من أثمن الموازين وأدقها وأهمها ، لأنه أنقذ الدعاة من رهبة إصلاح هو أخو المستحيل ، وطلب منهم تأديب السادرين بهيبة السلطة بعد تمكين الدعوة ، واقترن هذا الميزان بتحليلٍ بَدَهي غاب عن ذهن أكثر الدعاة يدعوهم إلى استحضار معنى أن نصف المجتمع نساءٌ شأنهنّ في السياسة أضعف من ضعيف ، وأن نصف النصف الباقي أطفال أو شيوخ أصابهم الهَرَم وقعدت بهم الأمراض ، وأن نصف الرُبع الأخير بَدوٌ أو في أقاصي القرى والجُزر ووراء كثبان الصحارى ، ثم نصف الثمن جبناء وسُذج ، وبذلك لا يلزمنا إلا تحريك " **نِصف ثـُمن المجتمع** " فقط ، وذلك سهلٌ إن شاء الله ، وهذا التحليل يملأ قلوب الدعاة ثقةً وأملاً وإقداماً ، ويجعلهم أسياد المستقبل إذا ابتكروا لأنفسهم استثماراً مالياً يمنحهم مُكنة الشراء وتحيـيد مفاصل القوة .

❑ نِعمَ المجاهدُ الفقيه .. لكل مواقفه تخريجٌ شرعي

□ هذه المجموعة من الرؤى والتحليلات والحلول : هي من المعاني البالغة الأهمية ، وهي ضرورية لتأسيس قاعدة فكرية إسلامية تأصيلية تمنح الجهاد العراقي في صفحته الثانية مكنة الاستمرار وكفاية من الفاعلية ووتيرة التأثير والصمود وتجاوز العقبات الناشئة ، وبها تستبين طرائق العمل المكملة للجهاد ، من تربوية وتنظيمية وسياسية ، فيكون اقتفاء نظريةٍ تامة في الجهاد الواعي ، وبها تستبين ملامح الدراسات النقدية التي تعيد تقويم الأداء واكتشاف مواطن النقص

والخلل ، من أجل الاستدراك ، ويليق خلال ذلك أن نقترب أيضاً من المعرفيات العامة ، في صفاتها الأدبية والتاريخية والفلسفية والفنية ، لتجويد المدارك وتوسيع التصورات ، مع تحكيم المفاهيم الحضارية واستحضار تجارب الأمم في نيل الحرية والتخطيط لمراحل التنمية بعد الاستقلال .

● والذي حصل في العراق : أن الاستنفار الجهادي قد شمل جميع أهل السُنة والجماعة من العرب ، مع عناصر مساندة قليلة من الأكراد والتركمان الذين نالوا حظاً من فقه الإسلام ، وتنادى كل أهل الحَمِيّة وشعور الاستعلاء الإيماني لدخول أنواع العمل كلها ، فمنهم مَن اختار العمل في درب السياسة والطرائق السلمية في الإنكار على الاستعمار الأميركي ، وتأوّلوا أنهم في جهادٍ تكميلي ، فأصابوا في بعض خطواتهم ، وأخطأوا في مواقف أخرى ، ومنهم من حمل البندقية وأنواع السلاح وضَرَب وقاتل وحارب ، على اختلاف أسماء الفصائل التي ينتمون إليها ، وكانت الجمهرة التي استنفرت نفسها للقتال مجتهدة ، ولعملها الذي تزاوله تخريج شرعي أصولي يحتكم إلى الفقه الإسلامي ، ومن بديهيات الدين أن المؤمن يجتهد ، ولكن لا يضمن لنفسه الصواب والعصمة ، ولذلك أصاب البعض أيضاً ، وأخطأ بعضٌ آخر ، وخلط آخرون بين صوابٍ وخطأ ، وهو شأن الأكثرين ، وكان الجميع في " **عُرسٍ جهادي** " وممارسة شعبية له ، حتى تجاوز الأمر المنظمات إلى أن تكون العشيرة وحدةً جهادية ، بل تكون العائلة ، بل أحياناً جماعة مسجد أو رواد ركن في مقهى تتأجج عواطفهم فتستبد بهم المشاعر وتدفعهم إلى إلقاء قنبلة وزرع لغم ، وفي الناس مَن أسندَ الجهاد بمالٍ ، وبقصائد شِعر ، وبإيواء ، ودافع من اتبع الخط السياسي عن حق المقاومة ، ونادى بحقوق الإنسان ، وشكى أمر المعتقلين ، ولذلك لا نُسوّغ لأنفسنا أن نتهم أحداً في نيته أبداً ، سياسياً سلمياً كان أو مقاتلاً ، ولا نقذف آخر بخيانة ، ولكن لنا ولكتاباتنا النقدية أن نحكم بتصويب طريقةٍ وعمل ، وتخطئة عملٍ آخر ، وإنما نميّز الخطأ لنطلب تعديله ، بلا تشهير ، وإشادتنا بالصواب ومدحه تُراد لإغراء فاعله بمزيدٍ

من مِثله ، وشكره عليه ، والموازين التي ننطلق منها إنما هي شرعيةٌ محضة ، وبعين الفقه نـُبصر الأمور ، لا بموازين الصداقات والأعراف الدبلوماسية التي تـُداري ، ومعرفة المجاهد والسياسي بالواقع : شرطٌ عندنا للإقرار له أنه يقترب من الصواب ، واللجوء إلى التدقيق في اختيار المجاهدين والعاملين : طريقة توفر الضمان من الهزّات والعدوانيات ، والتربية أصلٌ مبارك يقي من الانفلات ، ويعصم من الفتن واتباع الشهوات ، وكذلك ينبغي أن يكون كل فصيل قتالي أو سياسي ، ونوجب عليهم ما أوجبناه على أنفسنا في " جامع " ، ولسنا بعد ذلك بمعصومين ، بل نحن بَشر ، وقد نخطأ ويخطأ أتباعنا ، ولكن نريد من كل مسلم أن يبقى جميلَ الظن واللفظ ، ولا يسارع إلى اتهام النوايا وتخوين السلوك ، بل يعتقد أنّ في الأمر فلتة وخطأ وبعض اجتهاد ، فذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً ، والقرينة : تاريخٌ ناصع ، وعَفافٌ ظاهرٌ مستمر ، ورجحان حجم الصواب على حجم التأولات المرجوحة .

❑ يا نجباء الأقطار ..

افهموا خصوصيات العراق واحكموا بالقِـيَم

❑ وقد علمتنا الأيام : أن الحياة بالغة التعقيد ، وقد تطغى العواطف على الحسابات العقلية ، وللدعاية تأثير كبير ، فيكون من خلالها تمويه الحقائق وسوء فهم أفعال المحسن إن لم تسنده دعاية مقابلة ، ولذلك لا يقع الناس في اضطراب التقويم للموجود فقط ، بل حتى الدعاة الذين يفترض فيهم الوعي يقعون في ورطة الفهم الغلط للساحة ، وتنطلي عليهم أمور ، فيضعون آمالهم في مفضول ، ويوثقون ضعيفاً ، ويكون منهم إهمال الثقة ، والقعود عن تأيـيده ، وليس السبب غير غَبش في التصورات ، وقلّة استيعاب للمنظر ورجال الساحة .

وفي التحليل : أن المسؤول عن هذه التوهمات إنما هو نقص العلم الشرعي ، بحيث لا تتضح موازيـنه عند هؤلاء الدعاة ، مع شيءٍ من استعجالٍ في فهم

الواقع ، وأخذٍ بالظاهر ، دون تكليف النفس الفحص عن الحقائق والغوص إلى قعر القضيـة ، ولو أنـهم اعتصموا بمجموعة القيَم الدعوية لاتضحت الصورة لهم ، ولكنّ أمرهم يدل على خللٍ تربوي وعيبٍ في منهجية الفهم وضمورٍ في تحكيم المنطق .

● حدث هذا قبل ما يقرب من عشرين سنة حين تصدى محفوظ النحناح في الجزائر لأمر الإصلاح بمنهجيةٍ كاملة تعتمد الفكر والتربية والتنظيم والتنمية كأُسس لعمله السياسي ، ومن شأن مثل هذا المنهج أن يكون بطيئاً مُتدرجاً متتابع الخطوات ، ويتقدم بعقلانيةٍ وحسابات ، فبرزت جبهة الإنقاذ فجأة وقفزت على المراحل ، واستـثمرت تمهيدات محفوظ والأحوال العاطفية التي سادت شعب الجزائـر ، ففازت في الانتخابات ، فهفت قلوب شطر من الدعاة في كل العالم إليها ، وتخلّت عن محفوظ ، مع أن إحصاء عدد الأصوات التي حازها تدل على حقيقةٍ أكبر بكثير من عدد المقاعد البرلمانية الفعلية التي نالها ، وكانت فوارق الأصوات قليلة في حجمها وأقل بشكل واضح من فوارق عدد المقاعد ، ولكن الدعاة الذين خذلوه في أرجاء العالم إنما فُتنوا بالمنظر الخارجي ، وكشف صنيعهم أن تربيـتهم كانت هامشية ، وأن القِيَم الإسلامية الدعوية لم تنغرس فيهم بما يكفي ، ولم يسألوا عن تربيةٍ وتنظيم وشروط وانتقاء ، ومضت قصتهم لتؤشر واقعةً من قابلية بعض الدعاة لوقوف المواقف العاطفية والتخلي المفاجئ عن منظومات التخطيط الشمولي المتكامل الذي توجبه العقلانية .

● وبعد عشر سنوات من ذلك : تكرر خطأ الثلّة العاطفية من الدعاة في بعض البلاد بما أظهرت من فرح لفعلة بن لادن في نيويورك ، وتوهموا تحقيقه بطولة ، مع ما في فعلته من غوغائية تنافي المنهجية الوسطية للعمل الدعوي الإسلامي الشائع ، وليس هناك غير مجازفة تدل على طفولية في تصوّر شكل العمل السياسي والجهادي ، والضرر الذي حصل مما فيه تعويق للنشاط في كل العالم إنما هو ضرر كبير جداً ، ويتضاعف بما انضاف إلى تلك المنهجية الخاطئة من عقيدة

تكفير مَن لا يؤمن بمثل عمله ، وبقيت متواليات الأضرار مستمرة في التولّد حتى اتخذت شكل قتل المجاهدين والدعاة في العراق إذا لم يدخلوا في طاعة الإمارة الشرعية الموهومة التي أعلنوها بلا مستند شرعي ولا وجود واقعي يوازي حجم دعواهم احتكار الحق ، وأمر هَذه البدعة سيكون إلى ضمور حتماً ، لمناقضتها لفحوى الفقه والعقل وموازين الوسطية السمحة ، ولكن موقف أولئك الدعاة الخاطئ في الترحيب بها ثَـبَتَ كشاهدٍ آخر على قابلية الدعاة لنسيان قِـيَم الأصالة عند التهاب العواطف .

● والذي عوملت به مواقفنا في العراق من قِبل الدعاة العاطفيين في العالم : يقوم كشاهد ثالث على استمرار هفوات نسيان القِـيَم في ساعة الحرج والعُسرة ، مما يستلـزم تجديد التربية ، مع شيء من مصارحات صعبة على النفس ، ولكنها ضرورية ، لقطع دابر مثل هذه الهفوات أن تقع مستقبلاً في بلاد أخرى .

وأسباب قيام الشبهة حول الموقف في العراق عديدة ، منها : أن ثلة الثقات كانت في حالة شِدّةٍ طيلة أيام صدام ، واضطرت لمساررة ومحدودية في العمل ، ومن دون عمل مؤسسي أو تدريب إداري أو اقترابٍ من جمهور الناس ، إذ كان كل ذلك في عِداد الممنوعات ، ثم فجأة حصل الاحتلال الأميركي بتعاون مع الأحزاب الطائفية والكردية ، واضطرت الدعوة ذات الكيان المحدود والمنهكة تحت وطأة الظلم إلى ممارسة واجبات عظيمة خطرة في وقت واحد : واجب بناء التنظيم المتكامل الأهداف وما يقتضيه ذلك من قيام مؤسساتٍ ونشرٍ فكري وتعريف إعلامي ، وواجب جهاد العدو المحتل سلمياً وقتاله حربياً ، وواجب التصدي للهجمة الطائفية الشعوبية التي أمعنت في قتل أهل السُنة وتهجيرهم وحرق مساجدهم ، وواجب إحداث التوازن في الجيش والشرطة والوزارات لئلا تستبد بها الطائفية وتحتكرها ، ثم واجب الآليات الانتخابية وما يستلزمه من مناورات ، فهذه حالةٌ من تزاحم الواجبات تتيح مجالاً لظهور أخطاء في التصور أو القرار أو العمل تحمل معها منطق غفرانها ، لأن كتلة المهام أكبر من كتلة

المتصدين ، والساحة واسعة ، والمفاجأة لم تترك وقتاً للاستعداد ، فكان من القَدَر المكتوب أن يأتي التطوير مقترناً مع قدر الاحتلال وتأجيج الجهاد ، ومع قَدَر الدفاع عن الوجود أصلاً أمام التحالف الطائفي الشعوبي الأميركي الذي يريد الاستئصال والانفصال وتقسيم العراق ، وتصدّت مجموعة من المجاهدين والسياسيين محدودة لهذه الجبهات العريضة ، وكانت رائدةً في عملها ، أصيلةً في أفكارها وطرائقها ، وأودعت آمالها الرئيسة في المنظمات الجهادية الوسطية وجَعلتها جادّة تلتزم آداب الإيمان ومقتضيات الفقه وفحوى التجارب المعاصرة ، ووفرت لها ثلة من أفضل العاملين ، وكان الدَيدَن : بذل الجهد الأوفى لقيام نوع من الجهاد الواعي المحفوف بصواب القرارات والخطط والمواقف ، مع نشر أعمق معاني الأخوة مع بقية فصائل المجاهدين ، وإيجاب التعاون معها ، وحُسن الظن بها ، والممارسة المكثفة في مثل هذه الأحوال المعقدة تقتضي اجتهاداً وفق معايير أصول الفقه ومقاصد الشريعة ، وملاحظة المصالح والضرورات ، فمن الطبيعي أن يحصل الخطأ من مجاهدٍ أو سياسي ، والتأول لهم في مثل هذه الحالات هو ملاذ المنصفين ، لأنّ معظمهم كان وفيّاً ثابتاً ، وهم جمهرةٌ تربوا في مجالس عن يسار المنابر أو في حلقات عن يمين المحاريب ، وصفاء نواياهم ظاهر في جباههم وفي منهجية التقدير العقلاني التي يتبعونها ، ولكنْ تجاهلَ حدودَ الإنصاف المستعجلون ، وحادوا عن منطق التأول، فاعتدى عليهم ارتجاليٌّ التقطته " **القاعدة** " لتوّه من الشوارع ومجالس الأرصفة ، لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر ، وكلّ همّه المغامرة والمجازفة والهدم والتفجير وفرض نفسه على الناس واللعب بأرواحهم ، وقلّدهم جُهّال أمثالهم اخترقوا منظمات جهادية أخرى موثوقة كان شرطها في التجميع والتجنيد متساهلاً ، وبذلك دخلت " **جامع** " المجاهدة ومجاميع الثقات في مرحلة محنة صعبة ، وأصعب ما فيها من بعد الاغتيال : أن جموعاً من الدعاة في الأقطار الأخرى أظهرت ضَعفاً في تحكيم " **القيم** " ومدلول الاجتهاد والتأول ، فانطلت عليها دعاوى الخصوم، ولم تفهم خصوصيات الحالة العراقية ،

وصارت فاترة في التعامل مع " **جامع** " ، نشطة في تمويل وإعانة جهات أخرى ، وحوصرت هذه المنظمة الواعية حصاراً شديداً ، لضعف دعايتها واتصالاتها ، ولطول لسان الآخرين المعتدين عليها ، وساعدت في تغبيش الصورة وتمويهها : الفتوى الخاطئة في تحريم العملية السياسية والدخول في وظائف الدولة والقوات المسلحة ، التي لم تلحظ احتمال احتكار الطائفية لها عند انسحاب أهل السُنة والجماعة ، وهو الذي حصل فعلاً ، ثم زادت الدعاية المضادة حين جَهرنا بنقدنا لمعركة " **الفلوجة الثانية** " وبغلط قرار تأجيجها ، حين استندنا إلى وصايا جمهرة كبار قادة الجيش العراقي السابق بخطأ القتال في المدن ، وأن الجهاد أشبه بحرب العصابات ، ويليق له الكرّ والفرّ ، وكان قرار الفلوجة الثانية الخاطئ نقطة الانعطاف في تأييد الحاضنة الشعبية للجهاد وميلها إلى خذل المجاهدين بعدما رأت حجم الضرر الكبير الذي أصاب أهل الفلوجة بسوء تقدير مَن دفعها إلى هذه المعركة ، وبموقفنا الصريح من هذه الغلطة : زاد حِصارنا والطعن فينا ، ودخلت مجموعة الثقات و " **جامع** " في طَور جديد من " **المحنة** " ، وحكمت بعض الدعاة في العالم بالمقابل أطوار جديدة من " **الفِتنة** " التقويمية الفكرية والميلان عن فقه التوثيق والتضعيف ، وأنجى الله من ذلك نبلاء فلسطين في " **حماس** " وجموع دعاتها ، وأظهروا معدناً أصيلاً من الفهم الواعي لخصوصيات العراق ، لأنهم قومٌ يمارسون الجهاد فعلاً ، وتربيهم دروسه العملية ، وليسوا كمثل آخرين من أتباع العواطف والدعايات ، بل بعضهم من اتباع الأكاذيب والمبالغات ، ويأتيهم دَعِيّ ليس معه غير ثلاثين مطلق رصاص فيزعم أن معه ثلاثة آلاف مجاهد ، فيأخذ الأموال ونُحرم نحن أهل الجهاد الشمولي المتكامل ، ثم يأتيهم آخر فيزعم أن معركة الفلوجة الثانية أسفرت عن قتل ألفين من جنود الأميركان ، كما تكلم أحدهم أمامي بمجلس في مكة المكرمة يضم خيار أهلها ، وذلك كذبٌ محض رخيص من أجل جمع المال ، وإنما فَقَد الجيش الأميركي دون الثلاثين جندياً فقط ، لأنهم كانوا في موطن التفوق والرمي بالمدفعية والصواريخ من بعيد ،

والمجاهدون والناس هم المحصورون داخل المدينة المنكوبة بتصدي مَن لا يعلم أصول الحرب أكثر من نكبتها بظلم الاستعمار .

❑ أصلاء في العراق يُقدّمون ألف شهيد .. يحق لهم أن يفخروا

□ وهكذا ، وبمثل هذه الاختلاطات : قدمت " **جامع** " وهالة أنصارها من الأصلاء ثلاثمائة شهيد اغتالتهم يد الجهالة باسم الإسلام ، وهو عدد يماثل مَن قَتلتهم الهجمة الشعوبية الطائفية منهما ، ثـم يُماثل مَن سقط شهيداً برصاص الجيش الأميركي في العمليات الجهادية لأبطال " **جامع** " ، ليبلغ كل شهداء العمل الإسلامي منذ الاحتلال وحتى أواسط السنة السادسة منه في حدود الألف شهيد من وُعاة الشباب وعلماء الشرع ، ويضاف لهم ثلاثمائة آخرون من الدعاة حصل الإذن لهم في مرحلة الاستعداد لإعلان " **جامع** " أن ينتموا إلى منظمات جهادية أخرى حين أفصحوا عن شدة شوقهم للجهاد العاجل ، فسقطوا شهداء في عملياتها الباسلة ، وهم مَن انتمى من أصحابنا إلى " **كتائب العشرين** " و " **الجيش الإسلامي** " بخاصة ، وبذلك وصل عدد شهداء فقه الأصالة في العراق في حدود الألف ومائتي شهيد ، ويضاف لهم نجباء من دعاة الإسلام الأكراد سقطوا شهداء في دهوك وغيرها بعدوان العلمانية الكردية عليهم ، ثم بعض الدعاة التركمان الذين قُتلوا في ثنايا الصراع على كركوك وهم أبرياء ، والمنتقدون لنا من دعاة الأقطار الأخرى يجهلون ذلك ويتبطرون وتستبد بهم العاطفة ، ولم يشارك أهلَ فلسطين في النجاة من حبائل التوصيف الكاذب والأخبار التدليسية غير طوائف من دعاة أقطار أخرى ، في الخليج والسودان واليمن والجزائر بخاصة ، فلسنا نعمم ، بل نوجب على أنفسنا شكرهم ، ولكن خالطهم مَن هَجَر القـِيَم فاضطرب ميزانه وكان خفيفاً ، وفيهم دعاة فهموا موقفنا السياسي والجهادي ، ولكن لبثوا يحسنون الظن بالأحزاب الطائفية ويوصوننا بالتعاون معها ، على

الرغم من عُدوانها وظلمها ، مما يدل على ضعف في حاسّة تميـيز البدع وغفلة عن دروس التاريخ القديم والحديث ، ولعلّ في صنيع الحوثي اليماني من العصيان والقتال ما يجعلهم يُبصرون الطبائع الهدمية للطائفية إن لم يكفِ الحَدث العراقي في وعظهم ، وسيرى الغافلون أن " قُم " الإيرانية هي مرجع الطرفين ، ولكليهما التزام بخطتها التي تزعم الأخوّة الإسلامية وتـتستر بـها في الظاهر وتـُبطن الروح الطائفية والشعوبية وبث التفريق ، وهم مهرة في " التـَقيّة " التي تجـيز لهم بالباطل إخفاء المقصد وإيهام المقابل بالكذب وقول الزور والفعل التمويهي الخداعي .

❑ كواكب المستعجلين إلى الرب الكريم

□ وفي خِضَم المعارك والعدوان : كان من أوائل الذاهبين من الأعيان وحَمَلَة الفقه : الصيدلي " **عمر محمود** " ، فخر الموصل ، إذ اغتالته القاعدة ظُلماً وحَسداً ، وقد عَرَفـتُه مذ كان شاباً وسيماً طالباً في كلية الصيدلة ببغداد قبل أربعين سنة ، وكانت البنات يقتربن منه ويُغرينه ، لروعة جماله ، ولكنه يعتصم بالعفاف ويتذكر قصة يوسف عليه السلام ، ولبث جاداً باذلاً متين الدين إلى يوم استشهاده ، رحمه الله .

● و " **خالد عثمان** " ، عبقري الموصل ، وأنشط مَن تجرّد للدفاع عن حقوق الإنسان في العراق عبر جمعية رائدة أنشأها ، وأصدر من خلالها مجلة مختصة بموضوع الحريات ، وبحوثاً وتقارير عن أحوال معتقل أبي غريب والتعسف الأميركي فيه ، ونـَشَر أخبار السجناء والتعذيب ، واتصل بالمنظمات العالمية والأمم المتحدة يحثها على التدخل ، ولكن يداً أثيمة اغتالته يترجح أنها قاعدية ، وكان يمرّ عليّ ويعرض أشكال نشاطه ، ويستشيرني ، وأنا أقترح على الجهات الإعلامية إعادة طبع كل أعداد مجلتـه وبحوثـه في مجلدٍ واحد ، لتكون مرجعاً ووثيقة تاريخية وخبراً عن تجربة ناضجة أسلفها داعية مندفع شديد الانغماس في قضايا الناس .

• والشيخ الفقيه " **بشير الجوراني** " ، أحد وعاة حَملة العلم الشرعي في محافظة ديالى ، وجَمَع بين الروح الجهادية والعمل السياسي الإسلامي والأخلاقيات الرفيعة ، وأمَرَ بالمعروف ونهى عن المنكر ، في فصاحة ومكنة خطابية ، مع حياة زهدٍ وبساطة ، فأخذته الشرطة وعذبته عذاباً شديداً حتى نال الشهادة في اليوم الثالث من اعتقاله ، رحمه الله .

• وزين الشباب " **عُبادة الأعظمي** " عاشق الجنة ، والمندفع الجسور الذكي ، وهو حفيد رجل متدين كان يأمر بالمعروف ويوالي أهله ، كما أنه وحيد أبويه ، لا يملكان ولداً غيره ، وقد تولّها به وحَرَصا على إبعاده عن مصادر الخطر ، لكنّ عُبادة له رؤية أخرى ، وكانت همومه جهادية منذ أول شبابه ، وقد ربّته المساجد ودورات تحفيظ القرآن الكريم ، وما أن تخرّج من كلية الهندسة حتى شاهدَ معارك المجاهدين في الدفاع عن مسجد أبي حنيفة يوم احتلال بغداد ، وتَسابُقهم إلى نيل الشهادة وردع الجيش الأميركي ، فسيطر عليه معنى الجهاد ، وبقي يتصاعد حتى انتمى لمنظمة " **جامع** " وأدى البيعة ، فرجف قلب والدته ، وبذلت كل وسيلة مع أبيه لسحبه إلى " **الإمارات** " ، بعقد عمل ، لكنه كان يتلوى هناك ، وروحه تحوم حول قصص البذل التي تبلغه عن بطولات " **الأعظمية** " ومع شِعر " **وليد** " في تمجيد الجهاد ، فاتخذ قراره الشجاع ، وقَطع الشك باليقين ، وانسلّ خفية مع الفجر من بيت أبويه إلى مطار دُبي ، لتصل به الطائرة سريعاً إلى بغداد ، حيث يُخابر أمّه التي أُغمي عليها ، وأحبّ أن يلقى الله مُحصناً ، فتزوج فوراً من خطيبته ، ومضى بعد أيامٍ إلى معركته الأولى مع المارينز ، مُكلفاً بزرع لغمٍ في طريق دبابات جيش الاستعمار ، ومضى شهيداً فوراً ، على أحسن ما يرجوه المجاهدون من أخ لهم متجرد عظيم الهمّة ، مع وعيٍ ونجابة وسيرة عفاف وستر ، تقبّله اللهُ في الصالحين ، واهتز فؤاد أستاذه بين فخرٍ وألم ، يريد أن يقول شعراً يُخلّد مأثرته ، وهو لا يجيد العَروض ، فانسابت عواطفه في مجراها الفطري ...

رَحل ... لا ... لم يرحل عُباده ...

ترك الدنيا ... ونالَ الشهاده ...

ترعرع في المسجد .. على العباده ..

هميماً مُذ صِباه .. وله الرياده ..

مخلصاً .. غيوراً .. صادقاً .. وزياده ..

فخرّ من عليائه .. نجماً .. عُباده ..

ونحن على الدرب .. قد اخترنا الجَلاده ..

وكان عُبادة قد قال لأمه حين سافرت : أما أنا فلن أبرح أرض الأعظمية : هُنا ولدت ، وهنا أجاهد ، وهنا أموت شهيداً أروي أرضي بدمي .

رحمه الله ، وقذف في قلب أبويه الصبر ..

● لكن أحرى بأم عُبادةَ أن تقول مثل ما قالت المشهدانية أم أبي عبد الله ، الذي كان من خبره أنه خرج يوم ١٢ – ٤ – ٢٠٠٧ مع ستة من مجاهدي " **كتائب صلاح الدين** " للتصدي لرتل أميركي على طريق بغداد – الموصل ، في منطقة العبايجي ، شمال بغداد قليلاً ، وكانوا يتقدمون بحذر تحت النخيل وأشجار البساتين بعد العصر ، إلا أن طائرة معادية رصدت حركتهم ، فأبلغت عنهم قاعدتها ، فخرجت قوة كبيرة من الجيش الأميركي تساندها طائرات ف ١٦ المقاتلة وطائرات الهليكوبتر متعقبة لهم ، فصار لِـزاماً دخول المعركة في أرض مكشوفة وقبل أوانها المخطط لها ، وأبدى المجاهدون السبعة منـتهى البسالة ، وكانت معركة ضارية تم فيها تدمير عِدّة آليات أميركية من الرتل ، مع بعض شاحنات المؤن والوقود ، ولا ندري حجم الإصابات الأميركية في الأرواح بدقة ، ولكن المجاهدين أطالوا القتال حتى نفذت ذخيرتهم ، وأصاب صاروخ من طائرة مقاتلة أبا عبد الله المشهداني فمزقه إرَباً ، وذهب شهيداً مع خمسة شهداء ، وانسحب قائد المجموعة مثخنـاً بجراح عولج منـها فيما بعد ، وحين حانت ساعة دفنهم في مقبرة الشيخ جميل : أتت أم عبد الله رابطة الجأش ، ووقفت عند جنازة

ولدها وقالت بصوت عالٍ :

" **حياك الله وليدي ، يا رَفعة الراس ، عَفيه بيك ، بيضت وجهي يـُمّه** " ..

ثم مضت صابرة مستغفرة .

فعُبادة الأعظمي رفع رأس أمه أيضاً ، وبيّض وجهها ، ورفع رؤوسنا وبيّض وجوهنا ، وأبو عبد الله بيّض وجوهنا ، وعشيرة " **المشاهدة** " في الطارمية وجيرانهم من عشيرة " **السلمانيين** " كلهم بيضوا وجه العراق ، ورفعوا رأس كل عراقي ، وساهموا في كتـابة قصة صفحة من جـهاد الأمة الإسلامية ضد الطغيان الأميركي ، فحيّاهم الله جميعاً ، فإنهم رفعة رأس كل حُرٍّ شريف .

وأبو عبد الله هذا شارك في سبع عشرة عملية مواجهة لكتائب صلاح الدين ضد الجيش الاستعماري ، والأحوال تقتضي المساررة ، فما كان أحد من أهل المنطقة يعلم خبره الجهادي وخبر أصحابه حتى حصلت شهادتهم ، فكانت مفاجأة للناس ، وحزنوا عليهم ، لحسن سيرتهم والتزامهم الديني الجيد ، وقد أصدر المكتب الإعلامي لجامع قُرصاً بعنوان " **عرس الشهداء** " يروي فيه قصتهم ، وكان أبو عبد الله قد حدّد يوم عرسه أن يكون بعد أسبوع من المعركة ، ولذلك ألحت عليه خطيبته أن لا يخرج لهذه العملية ، ولكنه قال لها : كأني أرى عروساً من الحوريات في انتظاري .

❑ عدوان الطائفية على مجاهدي البصرة ونبلاء شبابها

□ وسجلت البصرة مواقف بطولية في مقاومة الطائفية وردّ عدوان ميليشيات الأحزاب الشعوبية التي يقودها ضباط المخابرات الإيرانية ، وذهَبَ شهداء لهم مناقب ، وسلفت منهم قصص كريمة في البذل والتضحية والشجاعة والثبات على العقيدة ، مع وعي وحِفاظ على فقه وسطي وسلوك يتعالى على التشنجات وعلى أنواع التعصب البغيض ، وكانت أروع المعارك هي معركة دفاعية أمام هجمةٍ شرسة بأنواع السلاح قامت بها ألوف من غوغاء جيش المهدي الصدري وحزب

الفضيلة ، يقودهم مُعمّم جاهل حاقد ، وكانت المعركة غير متكافئة أبداً ، ولكنّ أربعة فقط من الأبطال وبسلاح خفيف : استطاعوا قتل هذا القائد اللئيم في أول الهجوم برصاصة في ناصيته الكاذبة الخاطئة ، ثم قتلوا سبعة عشر معتدياً ، فانكسرت حِدّة الهجوم وانسحب المعتدون في الأخير ، ولما جاء الضابط البريطاني يتفقد مكان المعركة : تعجّب جداً لأربعة فقط صمدوا أمام عشرات ألوف الصليات ، حتى أن جدران المبنى من كل جهاته كانت فيها ألوف الثقوب بسبب الرصاص والقذائف ، إنما هي إرادة الله في حفظ المؤمنين .. ! وكانت هجرة أهل السُنة والجماعة قد اشتدت ، وأسرع المستضعفون لتخلية مناطقهم والرحيل إلى الموصل وغيرها ، ولكن الأثر النفسي لهذه المعركة الباسلة أوقفها ، وارتفعت المعنويات وثبت الناس بثبات المجاهدين ، ولله الحمد .

● ومن شهداء البصرة الأماجد ونبلاء الشباب : الشهيدان : هشام عبد الحافظ عبـد المحسن الدغمان ، من مواليد سنة ١٩٧٥ وخريج كلية الزراعة بجامعة البصرة ، وضياء سامي الداغر ، من مواليـد سنة ١٩٧٣وخريج كلية الزراعة أيضاً ، وحصل اختطافهما من قِـبَـل جيش المهدي في ١٣ – ٤ – ٢٠٠٦ من مقر عملهما في شركة الفيحاء ، ووُجدت جثتيهما في اليوم التالي في منطقة الكفاءات وعليهما آثار التعذيب البشع ، رحمهما الله .

● ومن بـيّـض وجهنا في البصرة : الشهداء : عامر يعقوب يوسف العامر ، من مواليد ١٩٧٦ ، ومازن يعقوب يوسف العامر ، من مواليد ١٩٨٢ ، وخريج معهد النفط ، والموظف في شركة نفط الجنوب ، وقد اختطفتهما ميليشيا حزب الفضيلة في ٧ – ٦ – ٢٠٠٧ مع أبيهما وأخيهما ماهر من بيتهم في حي الكِندي ، ووُجدت جثـثهم في اليوم التالي وعليها آثار التعذيب والشنق ، وامتاز منهم : عامر ومازن بخاصة ، إذ كانا من الأبطال الذين واجهوا العنف الطائفي بشكل نظامي جهادي ، وتجملا بأخلاق دعوية رفيعة ، وحازا فقهاً وفكراً معرفياً ونمطاً إبداعياً في الأداء ، مع جسارة وذكاء وبأس شديد ، رحم الله الجميع .

● ومن أبطال البصرة : الشهيد إيناس عبد الدائم غضبان الحاجم ، من مواليد ١٩٧٢ ، واستُشهد يوم عرفة عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م بعد عودته من دوامه الوظيفي ، وكان رحمه الله قد ملأ كل الميادين في البصرة بآثار طيبة وحضور إيجابي ، وله مبادرات إلى أنواع الخير ، مع تواضع ونمط من التجرّد والعفاف والإيثار .

❑ أنوارُ هِمَمٍ واعِدة .. أطفأتها طلقات خوارج القاعدة

◻ وتوكيداً لطريق مَن سقط شهيداً في معارك الحرية برصاص المستعمر الأميركي ، أو في معارك الحفاظ على وحدة العراق برصاص الأحزاب الطائفية : ثبتت أرهاط أخرى على عقيدتها وفقهها الموروث عن الشافعي وأبي حنيفة ، فاغتالتها يد الجهالة الخوارجية التكفيرية الطائشة التي اخترقت تنظيم القاعدة وانحرفت به إلى جعله أداة هدم وتنفيذٍ للخطط الشعوبية الإيرانية أو الأميركية ، ودفعت القاعديين السذج المغفلين إلى تصفية عناصر الجهاد أو عناصر الإصلاح السياسي الاجتماعي الإسلامي من دون أن يفطنوا إلى قبح جريمتهم ، لضحالة وعيهم وانخفاض مستواهم التربوي والفكري ، فوقعوا في أيادي قيادات خيانية عميلة مجردة من الفقه والتقوى ، لا تعرف المعروف والمروءة ، وتركن إلى المنكر وإلى كل تأويلٍ شيطاني ممسوخ .

● من هؤلاء الشهداء الأبرار : بطل قرية " **الجرّاشية** " بمنطقة " **الاسكندرية** " جنوب غرب بغداد ، وفخر عشيرة " **البدرانيين** " : أبو ليث البدراني ، رحمه الله ، كان شاباً غليظ الجسد ، ويميل لونه إلى السمرة ، وقد امتلأ شجاعة وغَيرة دينية ، وفي اليوم الذي سبق احتلال بغداد عام ٢٠٠٣ تصدى لشاحنة أميركية كبيرة محشورة بالمارينز ، وبسلاحه الخفيف قتل وجرح العديد منهم ، ثم أفلت ، وأسرع إلى الجهاد ، ثم انتمى لـ " **جامع** " ، وكان يخوض المواجهات مع الطائرات السمتية ويقف أمامها وجهاً لوجه ويطلق عليها أكثف النيران من سلاح PKC ثم

يتوارى ، وعلى إثر معركة سنة ٢٠٠٦ مع هذه الهيلوكوبترات : يبدو أن الضابط الأميركي المسؤول في القاطع استطاع إغراء قائد القاعدة التكفيري بالانتقام نيابة عن الجيش الاستعماري ، فهجم القاعديون على المسجد قُبيل أداء الخطيب لخطبة الجمعة ، وكان هجوماً واسعاً عنيفاً ، فقتلوا الخطيب الشيخ طه البدراني ، ومرجع المنطقة في الافتاء ، واستشهد الأخ أبو علي البدراني ، ونالَ الشهادة عدد من المصلين الأبرياء ، ثم أسروا الأخ أبا ليث ، ووجدنا جثته بعد ذلك مقطعة الأوصال ، وانضافت عشيرة البدرانيين إلى سجل العشائر الباذلة المجاهدة التي رفعت رأس العراق وبيّضت وجوهنا ، بيّض الله وجه كل نجيب منهم .

• وإلى الشمال الغربي من أرض هذه " **البدور** " الساطعة : تقف مدينة " **الفلوجة** " العتيدة : رمز الجهاد العراقي ، وعنوان البطولة ، وقد قدمت ألوف الشهداء من جميع المنظمات ومن عامة الناس ثم من منظمة " **جامع** " .

• وممن لقي ربه فيها مليء اليدين بالصالحات : الداعية الزكي الذكي الفقيه أبو جعفر محمد شرقي حسين ، وكان طالب دكتوراه في قسم أصول الفقه ، ومُربياً لثلة واسعة من شباب الفلوجة أصحاب العزائم والنباهة ، ومن بعد مشاركة له في معركة الفلوجة الأولى البطولية : كان له دور في دفع الشباب إلى الجهاد وتثبيتهم ، وشارك في معركة الفلوجة الثانية ومارس التكبير والحث من مكبرات الصوت في جامع الفردوس ، واستمر نشاطه في تصاعد ، فتصدت له فصائل من القاعدة يوم ٢٣ – ٧ – ٢٠٠٥ بالقاذفات والرشاشات الثقيلة وأردوه قتيلاً ، رحمه الله ، ثم كانت الأرتال الأميركية تطوف في الشوارع لأيامٍ بعد ذلك تُظهر الفرحة بمقتله وتنذر المجاهدين بنفس المصير على يد القاعدة ، مما يشير إلى وجود ارتباط خفي .

• وشقيقه : وسام شرقي حسين من الشهداء أيضاً ، وهو من مواليد ١٩٨٧ ونتاج تربية أخيه الشهيد محمد شرقي ، وكان الأول على العراق في المرحلة الابتدائية ، ثم الأول على الفلوجة في المرحلة المتوسطة ، ونجح في تصنيع قنبلة

" **شواظ** " على غرار القنبلة الفلسطينية الحماسوية ، وشارك في معركتي الفلوجة الأولى والثانية بجسارة ، ثم كان له دور في تفجير دبابة أميركية في شارع الفلوجة الجديد في آخر أيامه ، وله غرام بالإغاثة وإعانة الناس والمتضررين ، وركب دراجته ليجمع التبرعات لهم ، فدهسته سيارة قاعدية من الخلف أوقعته ، ثم انهال رصاصهم عليه ، رحمه الله .

● وإلى الشرق من الفلوجة ، وغرب بغداد ، في أبي غريب : اغتالت القاعدة سنة ٢٠٠٨ الشهيد أبا عمر طه الزوبعي ، من مواليد ١٩٦٤ ، وكان رحمه الله فقيهاً وخطيباً وإماماً في جامع الرضوانية منذ ١٩٧٨ ، ومدرساً للتربية الإسلامية مدة ربع قرن ، ثم مديراً لإعدادية الصناعة في أبي غريب ، ولمناقبه الوافرة ومحاسنه العديدة : صار من قادة المجاهدين في كتائب صلاح الدين ، الذراع الضارب لمنظمة " **جامع** " ، وقد اشترك في عمليات جهادية كثيرة ، منها : ضرب القاعدة الأميركية في مطار بغداد بصاروخ " **كراد** " بنفسه ، وأصاب الصاروخ هدفه بدقة ، وساهم في ضربِ أرتال أميركية ، وفي التخطيط للعمليات الجهادية في قاطع أبي غريب ، وكان تقياً نقياً يبدي نظراً فاحصاً ، فيما وصفه معاونوه ، ويتوقع الإشكاليات ويضع لها حلولاً مسبقة ، وحركته دائبة ، مع تميّز فكري ، وتحليل ميداني ينم عن خبرة بالواقع ، وله عقل وحكمة استعملها في إزالة سوء التفاهم أحياناً بين الفصائل الجهادية ، وفي منع الاحتقان الطائفي ، والصلح بين العشائر ، بل حتى الشيعة من عشائر بني تميم وبني عامر اختاروه ممثلاً لهم أمام الحكومة ، لأخلاقه وتواضعه وحرصه على تفادي الفتن الاجتماعية ، ولنجابة أصله العائلي ، والشهرة الجهادية قديماً وحديثاً لعموم عشيرة " **زوبع** " التي هو من وجوهها ، ولكن نجمه الصاعد أثار حسد النكرات الطافية على سطح مستنقع الخوارجية ، فاغتالوه غدراً أمام مدرسته .

● ثم إلى شمال بغداد ، حيث قرية محطة قطار بَلد : نبغ الفقيه أحمد كاظم عبد الله الرُفيعي في تعليم عشيرته " **الرفيعات** " أصول الدين ونبذ البدعة التكفيرية من

خلال كونه إماماً وخطيباً في مسجدهم ، ومدرساً في مدارس وزارة التربية ، ونال الماجستير في الشريعة واستعد لدارسة الدكتوراه ، وقد رسخت قدمه في فقه الجهاد ، وظهرت ألمعيته ، وحَرص على توجيه الناس لضرب المستعمر الأميركي فقط دون الدخول في متاهات الخلاف وتخوين بعضهم البعض ، فلم يَرُق منهجه الوسطي لجهلاء القاعدة وللجناح المغامر من أنصار السُنة العصاة لهيئتهم الشرعية، ودخلوا مدرسته سنة ٢٠٠٧ وأجبروا طلابه على الوقوف في ساحتها لمشاهدة إعدامهم له ، وذهب شهيداً مستعلياً تزفه الملائكة إلى حورياته في جنان الخلد ، ليصحب الصديقين وشهداء الصحابة والتابعين وشهداء عموم أجيال المسلمين ، رحمه الله رحمة واسعة مثلما رفع رأس الرفيعات ورفع شأننا نحن الذين نحب الرِفعة والرُفيعات .

● وإلى شمال الرفيعات قليلاً : في سامراء الصامدة أمام خطط إلغاء سُنيتها وتبديعها : ينتصب والدٌ لخمسة مجاهدين مثالاً للأب الواعي لواجب الوقت والمرحلة في الجهاد ، وتستقر في سيرته ومواقفه معاني الوحدة والتعاون ، مع فرحٍ غامرٍ بالتوفيق الرباني الذي نزل على عائلته فجعلها كلها عائلة جهادية تضرب بسهمٍ من غنيمة الأجر الرباني مع كل فصيل جهادي ينشط في الساحة ، وكان منه أن وزّع أبناءه على المنظمات ، ومنح " **جامع** " اثنين من أشجع المقاتلين ، وأرسل ثالثاً إلى " **كتائب العشرين** " القديمة ، ورابعاً إلى " **الجيش الإسلامي** " ، ثم قام نبيل سامراء بضيافة وفدٍ من قيادة " **جامع** " يتفقد الميدان ، وجَمعهم بولديه ، وقال : ولدي الخامس صغير ، ويمكنكم تجنيده ليؤدي واجبه بعد سنتين ، ثم هذه بنتي إن شئتم تجنيدها مع كتيبة نسيبة الأنصارية الجامعية النسائية أو تزويجها لمجاهدٍ منكم فتكون عوناً له ، وأوصيكم بتقوى الله ، وحصر مقاومتكم للمستعمرين فقط دون التورط في دم عراقي ، فخرج الوفد من بيته وهم في ذروة الحماسة ، وارتفعت هِممهم ، وتعجبوا لهذا الوالد المضحي الذي يُنكر العاطفة الأبوية ويتفهم فقه الإسلام في التربية الجهادية وتحرير الأوطان بالدماء الإيمانية .

❑ بصائرُ جامع ..

❑ أما بعد : فهذه صفحاتٌ من جهاد " **جامع** " وبطولات مقاتليها وأنصارها ، وأطرافٌ من فقهها وفكرها وعقيدتها وخططها ، وإنما نورد كل ذلك تعليماً لكل مؤمن من أبطال العراق ونجباء أمة الإسلام في امتدادها العريض ، ليكون التأسي والاقتداء ، ولتوزن " **جامع** " بميزان الأداء العملي الفعلي ويكون تجاوز أصحاب الأقوال والادعاء والحسد والظن السيء ، ثم ليكون من بعد ذلك " **ولاء** " لهذه الثلة المؤمنة التي تتقدم في الطريق الصعب والظرف الخطر بخطىً واعية وطرائق مدروسة على ضوء تعاليم القرآن الكريم ، والفقه الشرعي ، وتجارب السلف والخلف ، وسلوك طلاب الحرية من شتى الأمم في العالم أجمع ، وهذا الولاء حقٌ يمنحه الإسلام لهذه الأرهاط الجهادية الصابرة الباذلة بصمت ، ومن الواجب الديني تأييدها في مواقفها السياسية والاجتماعية والفكرية ما دامت ملتزمة بظاهر القرآن والسُنة ، ولها اجتهادات تأولتها لها مجامع من شيوخ العلم الشرعي بتأويل حَسن ، وفي الولاء والإعانة بالأولاد والذرية والمال أجر عظيم عند الله ، وفخرٌ في الدنيا ، وثواب في الآخرة .

● أما سوء أفعال " **القاعدة** " وبدعتها التكفيرية وتورطها في دماء المجاهدين وشيوخ العشائر وعموم نجباء الناس : فالجهاد بريءٌ من ذلك ، بل إن " **جامع** " وفصائل الجهاد المنتظمة في " **المجلس السياسي** " ضحايا ، وقد أثخنت فينا القاعدة ، توهماً ، أو خيانة وارتباطاً بالمخابرات الإيرانية والأميركية ، وكل عراقي وكل مسلم في الأرض يجب أن يفهم هذه القصة ، وأن يؤيد الجهاد وأهله ، ويفصل بين عمل المجاهدين الصادقين وعمل القاعدة الخارجية التكفيرية المسؤولة عن تشويه سُمعة الجهاد العراقي ، ومن الضروري عودة " **الحاضنة الشعبية للجهاد** " ليواصل نشاطه ضد المستعمر إذا لم ينسحب أو أراد فرض الوصاية علينا ، وأيضاً : ليديم الجهاد مواقفه العملية ضد تقسيم العراق والمساعي الطائفية والشعوبية

والتدخلات الخفية للمخابرات الإيرانية ، بل وليقف أيضاً ضد التربية الانحرافية وترويج الفكر الأميركي والقِيَم الجاهلية والأخلاقيات المتردية والمعرفيات المزورة التي تشيع الفلسفة المادية وأدب المجون والنمط الغربي في الحياة المصادم المخالف للأعراف والقيم الإسلامية .

● هناك " فراغ " لا يملؤه إلا الجهاد الواعي المسْتنّ بسُنة الإسلام الوسطي .

□□ إن الإسناد الشعبي للجهاد العراقي ، وتقديم الولاء من قِبَل كل مسلم لجمهرة المجاهدين التي استمرت في التصدي للوجود الأميركي : إنما هما ضرورة دينية ومصلحة سياسية ، وهما مَفاد الإيمان والنظر الواعي لحقيقة القضية العراقية بعين التحليل والتخطيط ، وذلك لأن مهمة الجهاد لم تصل إلى نهايتها بعد ، ويلزم قيامها بضغطٍ متواصل لتوكيد الانسحاب الأميركي ، ثم لمعالجة آثار الاحتلال البغيض وإرجاع الأمور إلى نصابها ، لأن الحكومة منحرفة وخاضعة لرغبات الأحزاب الطائفية وأوامر المخابرات الإيرانية ، وقد اضمحل التوازن الاجتماعي الذي ينبثق عنه التوازن السياسي والوظيفي وتكافؤ مراكز القوة ، ثم القضية الكردية ما زالت غامضة وتقودها أحزاب علمانية تسعى للانفصال ، والملايين من أهل السُنة الذين هاجروا إلى خارج العراق طلباً للسلامة ما زالت قضية رجوعهم مبهمة ولا ضمان لحقوقهم أو إرجاع ممتلكاتهم وأموالهم ووظائفهم ، والاستـثمار النفطي تائه ويلزم أن تمسكه يدٌ أمينة ، ثم التنمية منعدمة ، وصار الجيش أداة بوليسية لا يهتم بوظيفته الأولى في الدفاع عن البلاد ، وعَنت الميليشيات قائم ، والأمن مُستَلب : وليس غير القوة الجهادية الضاربة باستطاعتها الضغط لتصحيح هذه الانحرافات ، والتأيـيد الشعبي لها يحميها ويقوم بتمكينها من اختصار الطريق والزمن والعمل بحرية ، ومن المؤكد أن إسناد الأمة الإسلامية كلها في امتدادها العريض لهذه الجهود الجهادية في تصحيح المعادلات المختلة يحقق أوسع الضمانات لاستمرار الاندفاعة وحماية المجاهدين من الأذى ومن عدوان الدول الكبرى والدول الإقليمية ، وقد تلازم الجهادان العراقي

والفلسطيني تلازماً حتمياً ، ومَن يبتغِ تحرير فلسطين : فليمرّ بالعراقِ أولاً .

□□ وأنتَ يا فتى الإسلام في العراق ..

أنتَ المحوَر .... وأنت الأمل ...

فكن مع النفيضة .. وبادر .. واسأل عن " **جامع** " ..

ناصِـر .. وأيـّد .. واجهر بالولاء ..

وإنّ حُبّ الأنصار من الإيمان ..

ونحن وإياك ... كما يقول عمار حرب :

★ **سنجتازُ جُرحاً وليلاً طويلاً ، وقد نُبصِرُ الموت عند السنابك ..** ★

★ **فلا تُغمض العَين إلا عفافاً .. ولا تغمد الروحَ بين المعارك ..** ★

★ **لتبقى شعوراً شجياً فَتيّاً .. إلى الله نُهدي قرابين حالِك** ★

★ **فقاوم .. وأشعِل بفكرك وعياً .. وأطلِق خيول الفِدا من عقالك**★

□□ فمعركتنا طويلة ، وتحتاج تضحية ، فاجعل روحَك متألقة دوماً على مدى الأيام ، ولا تغمدها أبداً .. ولتكن عينُك مفتوحة ، فإن الإغماضَ لا يكون إلا لعفيفٍ يبرأ من لوثات الدنيا وخوارم المروءة فيغض النظر تكبراً على السوء .

وأتح لعواطفك أن تعصف .. ولكن على طريقة من الوعي هادفة مأسورة إلى عقلانية الدعاة ومنطقية الفقهاء ..

فإن الجياد مَلّت الانتظار ...

ونريد استئناف الانطلاق ..

مع نفيضة " **جامع** " التي بادرت إلى قيادة الصفحة الثانية ...

من جهاد العراق الأبي □□□

□□ وبقيت تلك الطبـيعة التنفيذية المتقدمة الواعدةِ السائرةُ على بيّنة من أمرها : هي صفةُ العقد الأخير من القرن الماضي وإلى حين ما يقربُ من سنتين بعدهُ إلى حين أحداث سبتمبر والهجوم على أبراج نيويورك ، حيث اضطرت الدعوة إلى اعتكافٍ ومحاولة ترميم ، ووقفة مداراة ، وانعطافة استدراك ، وكانت القرائن تنذر بأن العقبات قد تكون قويةً وشائكة ، وكاد أن ينحسر بعض التقدم الذي حققتهُ مسيرة ربع قرن لولا أن الانتفاضة الفلسطينية وانتصاراتها ونموذجها الفَذ في التحدي البطولي والبذل والإصرار : قد أعادت العافية إلى نفوس الدعاة المنكسرة وجددت لهم الأمل .

وسرعان ما جاءت النجدة في صورة شرٍ مستطير ، حين أراد بوش السوء ، وأراد الله الخير ، فأسكرته الوساوس اليهودية ، فاندفع نحو استعمار العراق ، فوجده مستنقعاً غاصت فيه أقدامه ، وتلوثَ وجههُ بطين ، وانقلبت حملة الاستعمار عبر الفعل الجهادي إلى مرحلةِ يقظةٍ جديدةٍ لعموم الأمة الإسلامية ، تستأنف فيها استعمال التراث القديم ، وتفتحُ أبواب الردود المنهجية على العولمة الأميركية ، والأيامُ سجال ، والانتصاراتُ ميدانها النفس الإنسانية حين تأبى وتطمح ، وليس ميدانها السلاح ، بل حين يستبد الطموح تتضاءلُ محرّكات السوء المقابل ويبدو العمالقة أشبه بالأقزام ، فإن في الأمة اليوم مشاعر ثورية ، وعزائم جهادية ، ورغبةٌ في العناد ، والتفافٌ حول الدُعاة ، وبوادرُ عودةٍ إلى الوعي ، وكلُ ذلك استعداد لتحقيق التلاحم القوي بين القيادة الدعوية وجُنديةٍ عريضةٍ ممتدةٍ في العرصات العالمية قوامها الشعوب التي صحت فرأت شمس الطموح فاستعدت لمسيرة الاستئناف □□□

للراشد في كتابه

رؤى تخطيطية

□□ إن طبيعة الشخصية التنفيذية ليست سياسية بحتة ، ولا يكفيها تفاعلها التربوي مع المواقف ، فإن الولاء السياسي لا يرتقي إلى درجة الولاء الإيماني ، وقد يخلطه طمع دنيوي ، وهذه الصور والنماذج السلفية الأصيلة تعظ المخطط السياسي المسلم وتجبره على أن يمر بالدعاة المنفذين لمخططه في الممر التربوي الإيماني الأخلاقي ، فإن من لا يضبط نفسه : لا يؤثر في غيره ، وقد قال إقبال :

كل من في نفسه لا يحكم   هو في حُكم سواه مرغمُ

أي : يحكمه سواه رغماً عنه ، وكما أنه في النفس فهو في الحكم السياسي العام أيضاً ، تحكمه الأحزاب ، ومجاميع المغامرين ، حتى ليجد السفيه ثغرة يلج منها فيتصدر ، وذلك ما أخبرنا به النبي ﷺ وهو يتحدث عن علامات الساعة قائلاً يصف شدة الانحراف : (**إنها ستأتي على الناس سنون خداعة : يُصدّق فيها الكاذب ، ويُكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : السفيه يتكلم في أمر العامة**) .

وكم من رويبضة اليوم يقود ، غفلة الشعب فقط هي التي أوصلته ، يعطيه في الانتخاب الأصوات على غير ما هدى وبلا ميزان ، أو يعزف عن العمل الجماعي المنظم فيؤسس السفيه عصابة ترفعه ، فإن عملنا هو عمل تَعرّضي ، وما هو بمجرد عمل سياسي بحت ، ولا هو بالعمل التروي المجرد ، وإنما نحن حركة لدعاتها مخارج ومخاطرات ، وبذل ، كذلك سماها رسول الله ﷺ لما سئل عن أفضل العمل ، فقال :

(**رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**) .

فانظر وحلل هذه الكلمات : تجد كيف أنه :

خرج : وهو الخروج اليومي للتبشير بالدعوة ، أو دخول المعارك الحاسمة ، لا يحدث نفسه بأوبة .

يخاطر : فسماها مخاطرة ، وإلا فما أسهل الإقدام على العمل المضمون .

بنفسه : أي بروحه ، بدمه ، بجسده ، لا يخشى حبلاً ولا رصاصة .

وماله : أي براتبه ، وموارده ، وأملاكه ، التي هي ملك الدعوة وأجازت له الانتفاع منها .

فلم يرجع بشيء بعد ذلك ، لأنه انتقل نقلة البذل في الله ، ومن طبيعتها أنها لا رجوع فيها ، بل لها توجه نحو الأمام فحسب ، بلا التفات ، يتقدم لها غير وَجل ، ويقول غير آسف :

وأراني أسمو بسعيي ووعيي   عن جزاء من معدن الأرض، بخسِ
حسب نفس من الجزاء شعوري   أنني في الإله أبذل نفسي

ليس بين مقتله وبين الجنة إلا خطوة واحدة ، كما وصفها جابر بن عامر شاعر ربيعة للإمام أحمد أيام المحنة ، إذ لقيه وهو يرسف في الأغلال يقودونه إلى المأمون ، فقال جابر :

(**يا هذا : ما عليك أن تقتل ها هنا ، وتدخل الجنة ها هنا !**) ... ليس أكثر .

قال أحمد : فشدت كلمته قلبي أيما شد ، وثبتتني .

هكذا : أقل من خطوة .

القتل ها هنا ... والجنة ها هنا ... متجاورين ...

ليس بينهما صحراء ...

وما ثمّ إلا نقلة ... يسيرة □□□

للراشد في كتاب

المسار



محمد أحمد الراشد

• عراقي بغدادي قانوني تجاوز السبعين سنة وصار شيخ الشباب الوثاب.

• طالب علم شرعي يتحرى النصوص وقول الفقهاء، ويحرص على استنباط اجتهادات معاصرة تناسب الأوضاع الحاضرة المتطورة.

• ومعرفي يحاول شرح حركة الحياة من منظور إسلامي.

• يؤمن بالسُنَن والعقلانية ، ويكفر بالبدع والتهورات.

• وداعية قديم الانتماء إلى صفوف الدعوة الإسلامية ، وهواه: تعليم الشباب أصول العمل الجماعي وفاعلية الأداء.

• يحب أن يكون حضارياً مدنياً إبداعياً ، ومخططاً يقتفي المنهجية العلمية.

• وفنان يريد تكميل التربيات الإيمانية بفحوى الجمال.

• غرامه الجهاد وإسناد كل المجاهدين.

• ويفخر بأن الجهاد العراقي كان في مجمله : إسلامي الهوية.

• إلا أنه يضع بصائر الوعي السياسي شرطاً لتزكية أي مجاهد.

• ويحاول إحياء فقه الدعوة والجهاد وتربية المجاهدين بمحتواه.

• دَيدَنُه الاقتراب من جمهرة المجاهدين ، وحملهم على التوسع في الشورى ، والاستفادة من خبرة الساسة والعسكريين.

• من أوائل الداعين إلى مقاومة الاستعمار الأميركي للعراق عبر المحاضرات والكتابات.

• يرى أن الجهاد العراقي نجح في إرهاق الجيش الأميركي ودَفع الخزينة الأميركية نحو الافلاس والتورط في الأزمة المالية، وأنه أجبر الإدارة الأميركية على التفكير بالإنكفاء والتخلي عن غرور العولمة الاحتكارية.

• ويعتقد أن الجهاد العراقي صار اليد اليمنى لثورة حماس الفلسطينية الجهادية ، ومثالاً عالمياً ، وقدوة للأحرار في كل شعوب الأرض ، فيلزم الذهاب به إلى أقصى مدى.

• ويميز خطورة وأهمية الصفحة الثانية من الجهاد العراقي بعد توقيع المعاهدة الأمنية والانسحاب إلى القواعد ، ويتفرّس أن منظمة « جامع « الجهادية ستقود بقية المسيرة •

• وابتسم أمامي مجاهد حين رأى حماستي العماروية في صناعة الحياة، وقال : سلكتَ الطريـــق البعيـــد ، وومضة السيف وألحان اللعلعة هي الهادية ، وهي المربية ، والحادية في الطريق الأدنى القريب .. !

وهذا الزهد في فكر العمارة يجعلني أكثر إصراراً على ترويجه وجعله مادة دعوية وموضوعاً حاضراً في حوارات الدعاة ، لأن هذا الزهد بحديث العمارة يكشف عن بقايا الأُحادية في التكوين العقلي الفكري في الأوساط الدعوية ، وذهول عن التكامل وتعدد مصادر النضوج ، وبخس للقيم المعرفية والمنهجية العلمية ، التي هي الأقدر على تفسير القرآن وأحكام الشرع ، وكل من راقب البيئة الدعوية في جيل ما قبل الصحوة وإلى جيلين بعدها : يدرك بوضوح أن تجريد الجهاد من تفسيراته المعرفية وإيحاءات الحقائق العلمية هو السبب الأقوى الذي أدى إلى ظهور الفهم اليابس للنصوص الشرعية وقطعها عن عِللها ومسارح مصالحها ، فكان من وراء ذلك غياب الوسطية عند قوم يتنطعون ، وظهرت الخوارجية والتكفيرية وأنماط العبث في فتاوى الدماء ، فتلوث وجه الجهاد الناصع ، وحصلت جفلات شوشت على المسيرة الدعوية ، ونظرية العمارة الدعوية هي أخت عفيفة للفقه الاجتهادي الوسطي الرصين ، ومن شأن مواعظها وموازينها وقيمها المعرفية أن تضيف لوناً زاهياً إلى مسحة الجمال في وجه الجهاد الواعي الذي يعرف أهمية وظيفته في تحريك الحياة .

وكما أن الإيمان يكون هامشياً أحياناً ويُحتاج لمواجهة حالة التباس وشبهة لتختبر عمق الإيمان وتهز الدواخل وتنفض القلوب امتحاناً وتمييزاً، كالذي كان أثناء السيرة المطهرة من طارئة الإفك الذي لاكت به ألسُنُ عصبة من المؤمنين تورطوا في مجانسة المنافقين : فكذلك الانتماء الدعوي ، والتمييز المنهجي والوعي السياسي ، يزعمها مؤمنون أحياناً ، ولكن حادثة إفك خططي كمثل فعلة ١١ سبتمبر في نيويورك في سذاجتها ومستندها الفكري الواهي الدخيل على الفهم الدعوي السليم : هزت الدعاة أيضاً ، فأبان الأكثرون عن المعدن الصافي ، وتورط البعض بالإعجاب بها واعتقاد صوابها ، فكشفوا عن عقلية تبسيطية رجعية تجهل خبر محاور التقدم الذكي ، ولاكت ألسنتهم إفكاً تخطيطياً بينه وبين الأخلاق الدعوية حجاب وفواصل ، وتلك حقيقة مؤلمة ، لكنها ضرورية لتصفية الصفوف وتسوية الزحوف ، ولكي لا تشمل المسيرة متهوراً يجنح إلى المغامرات البائسة ، وإنما تتفجر المعاني التخطيطية السليمة من خلال مثل هذه الإفكيات النافضة والممارسات الخاطئة ، وبمثل هذا الفهم ندرك أنها من الأقدار الامتحانية التي يكون الفقه الشرعي فقط هو مفتاح الولوج إلى سرها الخفي ، ثم في الجمال جلاء •

للراشد في كتابه الجديد
« العمارة الدعوية »